



بعد شهر خرجت من المعتقل، بنصف جسد، ونصف روح، ونصف عقل... لكنها خرجت بكامل كرامتها وكبرياتها وشرفها، كانت تحلم أن تجاهد مع المجاهدين في الساحات، تحلم أن تزود عن أعراض أخواتها، وتداوي جراح إخواتها، وتكون الفداء لهم.

سارت إلى بيت زوجها كسيف من سيف الله المسلولة، مرصع بأسمائه الحسنى، وعلى عتبة بيتها بكت، وبكت معها حجارة الأرضفة وأشجار الطرقات المنكسرة، كانت شاحبة، منهكة، متآكلة من الداخل والخارج، تنزف كالنجوم المعلقة في السماء ساعة الغياب، نقص وزنها عشرة كيلوغرامات فازداد وزن شرفها آلفاً من الأطنان، سرقوا نصف دمها، لكن النصف الآخر تحول إلى نهر من ياقوت يروي تراب العدية، وتمخر عباه كل السفن العربية المهاجرة إلى العار... مارسوا عليها كل أنواع القهر، والقس، والذل، والصادمة، جردوها من كل أسلحة الأنثى، فجردتهم من جميع صفات البشرية، سيقت إلى المعتقل أسيرة تسحلها أيادي الغدر على الحجار السود، تلّم بفستانها الأبيض كل أوحال الطغاة، ورجس السفلة، استطاعت هذه الطاهرة أن تعطي يوم زفافها العادي بعدها غير عادي، وأن تعطي سرير الزوجية محطة للتاريخ، تزود السائرين على درب الحرية بوقود الكرامة... شبيحة الغابات تفتنوا بتعذيبها، وكسر مقاومتها، وإلغاء ذاكرتها، وزعزعة وجودها، وقد أفلحوا في تدمير كل شيء فيها إلا كرامتها، لترتع كل الأجراس، ولتضيء كل المآذن، ولينادي المؤذن معلناً "وفاة الضمير الإنساني" ... اعتقلواها عروسًا تزهو بفستانها الأبيض، وأطلقوا سراحها بعد شهر كامل وقد لطخوا بياضها بسواد جريمتهم البشعية، خرجت من معتقلها الصغير إلى المعتقل الكبير... الوطن... من سجن صغير إلى سجن كبير... الألم..... من غربة عن العائلة إلى غربة عن الروح.... وأصبح الهذيان هو التعبير المذهب لوصف صممتها الأشبة بصمت الموت... لم تكن الصفة رابحة... أعطواها الحرية... لكن سلبوها أعز ما تملك... كم تمنت أن ترفض الحرية... كم توسلت أن لا ترى النور... كم تاقت إلى ظلام القبور... فإن تدفن حيّة أهون ألف مرة من أن تحيي ميّة... تمنت أن تكون حبة قمح جافة ترمى على تراب الأرض لتلد آلاف السنابل الخضراء اليابعة... فالموت الفردي لا أهمية له إذا كان سيؤدي إلى حياة أمة... لم توجعها جدران السجن بقدر ما أوجعتها جدران الحقد والكراهية المتأصلة في النفوس المريضة التي طالت زهرة شبابها... لم تشتك ظلم الوحش الضاربة قدر ما اشتكت صمت ذوي القربى، وسكت الساكتين عن الحق...  
وحين عادت إلى بيتها، هرع العرب إليها... واحد يقبل يدها... اعترضاً لأنوثتها... آخر يحمل سلة ورد أبيض.. وثالث يحمل برقية مواساة من رئيس دولة عربية... ورابع قلدها وسام الاستحقاق الجمهوري.. وخامس قرر استصدار طوابع بريدية تخلد

ذكرى مصيبيتها... أما هي فقد ردت إليهم ورودهم وبرقياتهم وطوابعهم واعتذاراتهم، كلّ ما أرادته هو أن يعود زوجها الذي لم تتزوجه إليها... بحثت عنه في كل مكان... لم تجد سوى آثار خطواته المبعثرة على الطرق... سارت خلفه بنصف عقل... ومضى أمامها بلا عقل....

عذراً أيها السادة إنّ جنّ الحبيب... في بعض الحب جنون..

المصادر: